اراء في الزواج

اطلعنا على مقالة نفيسة في احدى المجلات الروسية تبحث في الزواج والطلاق آثرنا تعريبها لما فيها من الاراء الصائبة والافكار الثاقبة والنفع الجزيل

يعتقد الكثيرون ان العالم اصبح على ابواب انقلاب اشتراكي عظيم يبدل العلاقات التي ارتبط بها الناس منذ الخليقة الى اليوم . نعلم ان الناس على اختلاف الاجناس يحاولون بلوغ السعادة وصفاء العيش والرخاء ولكن الانقلاب المزعوم يقضي على تلك الاحلام ويؤثر تأثيراً شديداً على مسألة من أهم مسائل الحياة وهي العلاقة بين الجنسين او بين الازواج

اذا اردنا درس حالة العائلات اليوم نستطيع الحكم بان الزواج في الهيئة الاجتماعية الحاضرة ما هو الا عبارة عن عادة راسخة في نفوس الناس يقدم عليه الرجل اتباعاً لتلك العادة وارضاء للناس الذين يحيطون به فاذا تزوج الشاب فانما يفعل ذلك تنفيذاً لقانون الحياة الموضوع لجميع الناس واسكاتاً للالسنة التي ترشقه بسهام الملام فيما لو احجم عن الزواج . واننا اذا القينا نظرة على زواج هذا العصر نجده مشوهاً تحته الكذب والغش وسداه الخداع والبهتان وذر الرماد في العيون بل ينبوعاً لآلام نفسية محزنة وجالباً لحوادث مؤلمة بل انه مأساة تمثل على مسرح البيت واهم فصل فيها مصادمة عنيفة بين الرجل والمرأة

فالزواج سواء تم بواسطة رجال الدين او مسجل العقود — سواء كان مدنياً او كنسياً فهو في عصرنا الحالي عبارة عن عقد وثيقة بين الازواج تلخص فيما يأتي:

« نحن الموقعون على هذا نقر ونعترف باننا شخصان غريبان عن بعض ، اصبحنا منذ الان شخصاً واحداً . وانه يجب ان ننسى منذ اليوم انه يوجد في الدنيا رجال ونساء غيرنا حتى ولو كانوا اقارب لنا بالروح والجسد . يجب ان نقصر قوانا البدنية والروحية على نفسينا وانه لا يجب ان نترك بعضنا مهما عظمت الدواعي والاسباب . وان الواجب يقضي علينا ان نرسم خطة واضحة لحياتنا الزوجية بحيث نكون

متفقين اتفاقاً تاماً لا يعروه كدر ولا يتطرق اليه ضجر . يجب ان تضرب حوالينا على تمة الاخلاص والحب الصحيح . وان هذه الوثيقة يسري مفعولها منذ اليوم وتلبث معمولا بها طول الحياة »

ولا يخفى ان نقض هذه الوثيقة تعاقب عليه الشريعتان المدنية والدينية والرأي العام ايضاً فضلا عما يعقبها من الالام النفسية والاحزان والحوادث التي تفوض اركان السلام وتهدم سعادة العائلات

نعم ان الطلاق فيما مضى كان عسراً جداً ولكنه اصبح في هذه الايام سهل المنال قريب المأخذ ولا سيما في روسيا البلشفية فانه غدا من المسائل الثانية التي لا تهم احداً غير الزوجين ويكفي لتنفيذه ان يقول الرجل للمرأة « انا لا أريد البقاء معك » والعكس بالعكس ومع هذا فانهذا الطلاق السهل يجر وراءه عواقب وخيمة اهمها تقويض اركان السعادة وزيادة الفساد بين الناس

وبناء على ما تقدم فان الزواج يتطلب شدة الاحتراس في اختيار الزوجة والزوج لا يوجد حب حقيقي وطهارة زوجية خالصة من الشوائب الا في الروايات التي يسرح كاتبوها في عالم الخيال الكاذب ويتزودن على القراء أوصاف الحب والسعادة والطهارة والعفاف فيغوونهم ويغررون بهم ويقودونهم بتلك الالسنة الخفاقة الى أحط دركات التعاسة والشقاء

أغلب الزواج يحدث بين شخصين لم يسبق لاحدهما معرفة بالاخر والروايات الكاذبة تؤكد انه ابتداء من النظرة الاولى تتوثق بينهما عرى المحبة والاخلاص ويصبحان بعد دقائق معدودة يعتقدان ان سعادتهما تتوقف على اتحادهما واتصالهما

ومن جهة أخرى انه حتى لو استطاع الشاب والفتاة درس اخلاق بعضهما منذ الصغر فان القول بسعادتهما ووفاقهما ضرب من التكهن والرجم بالغيب ذلك لان عوامل الانسان الداخلية لا تثبت على حالة واحدة والقلب سريع التقلب

بشعر الفتى والفتاة بميل متبادل يفضي الى الزواج ومع هذا فان تصورهما يكون ضعيفاً جداً لذلك الشخص الذي يرتبطان به طول الحياة ومن جهة أخرى فان

ذلك الجسم الذي يلعب دوراً مهماً في الزواج يبقى في نظرها احجية من الاحاجي

ان الدور الواقع قبل الزواج المعروف بدور تعارف الخطيبين قصير جداً لا يتمكن فيه الخطيبان من درس اخلاق بعضهما درساً حقيقياً والناس كالطيور يطلقون في هذا الدور أجمل الريش وأبهاه ويحاول كل من الخطيبين ان يخفي عن الآخر كل نقيصة بل كل ما يخالف ذوقه وعاداته ويتسابقان كلاهما في هذا المضمار فيما فيه فرسا رهان او رضيعا لبان . ثم ان الشاب المحب يتصور ان حبيبته ملاك طاهر نقي من العيوب . واذا أظهرنا له بعض عيوبها وقلنا له ان الحب أعمى وانه غير خبير باحوال النساء وانه قاصر الادراك عن فهم كنههن صمّ اذنيه عن سماع كلامنا ونسبنا الى الاغراض وربما ناوأنا بعد ذلك العداء . ومن الحقائق الراهنة اننا اذا نزهنا الانسان عن النقائص وجردناه من الشوائب وعميت أبصارنا عن رؤية عيوبه فهو يكون ملاكا طاهراً والحبيب الذي اعماه الحب لا يرى في حبيبته سوى الجمال والكمال وخفة الروح ولطف الذوق لان بصره يعمى عن رؤية كل نقيصة . والحبيبان والخطيبان يريان بعضهما في اوقات محدودة يتوجهان فيها بكليتيهما الى ارضاء بعضهما ويبديان من العطف والحب والميل ما ينسيهما كل شيء وفي هذه الدقائق تضرب أوتار شعورهما على نغمة ساحرة تخلب الالباب وتذهب بالعقول ولا عجب اذا ظهرت في هذه الحالة الخيالية الوجوه القبيحة جميلة جذابة

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وبناء على ما تقدم فان كل رجل محبوب بطل مجرب لا يعرف قلبه الوجل وكل امرأة محبوبة ملاك طاهر . واذا كان هذا الملاك يتحول بعد ذلك الى طاهية والبطل الى عامل أو مستخدم بسيط فالذنب كله يعود على الحياة التي لا تحتمل الاعياد ودوام الافراح والليالي الملاح وما أسرع ما تقع بين ذينك الحبيبين بالامس الشقاق والنزاع اذ ذاك يجنح كل منهما الى العناد والتعنت واذ ذاك تظهر العيوب والنقائص ويحل الشقاء محل الهناء والخصام محل الوئام

ان الحقائق المرتكزة على الدرس والاختبار تدل على ان الزواج ليس انه فقط

لا يجمع بين الجنسين بل انه يفصلهما عن بعض ويفرق بينهما تفريقاً لا اتحاد بعده . فقبل الزواج كانت لهما غاية واحدة مشتركة ترمي الى هدف واحد وهي ان يعجب الواحد بالاخر ويجتذبه اليه فتتحد اميالها في هذا السبيل ويبذل كل منهما ما في وسعه لبلوغ هذه الامنية المنشودة وينشد كل منهما أغنية الحب وتمثل دور اللطف والكياسة ودماثة الاخلاق والظرف وفي مثل هذه الحالة يسهل على كل منهما امتلاك قلب الاخر واختلال لبه والتأثير على شعوره وحواسه . فاذا ما تم عقد الزواج بلغا تلك الغاية التي بذلا في سبيلها ما عندهما من تصنع ومداهنة ومراوغة وتفتح امامهما بعد ذلك طريقان مختلفان : طريق الزوج وطريق الزوجة . أجل انهما يشتركان في تشييد مملكة البيت ورفع دعائمها ولكن مبادئهما في هذا المعنى مختلفة متناقضة ولا غرابة في ذلك فانهما رجل وامرأة والفرق بينهما معروف لا يحتاج الى ايضاح

ان السخافة وحدها فقط تؤيد ان المرأة كالرجل ولكن الحقيقة لا تؤيد هذه الفكرة السخيفة ذلك لان الطبيعة خصت كلا منهما بوظائف تخالف وظائف الاخر

(البقية في العدد القادم)

****

قال احد الشعراء يصف خبازاً :

لا أنس لا أنس خبازاً مررت به يدحو (١) الرقاقة مثل المسح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء (٢) كالقمر
الا بقدر ما تداح (٣) دائرة في لجة الماء يرمى فيه بالحجر

وقال الشاعر يصف بسطاً

بسط اجاد الرسم صانعها وزها عليها النقش والشكل
فيكاد يقطف من ازهارها ويكاد يسقط فوقها النحل

---

١ يبسط ٢ واسعة ٣ تسح